

إيقونة القيامة: زوال الموت

خلافًا

لما نراه في اللوحات الفنيّة الغربيّة لقيامة السيّد المسيح، تتميز إيقونة القيامة الشّرقية بناحية فريدة وهي أنّها لا ترسم أبدًا القيامة ذاتها، بل تتمسك بصمت الإنجيل الذي لا يذكر شيئًا عن لحظة القيامة ولا يصف كيف تمّت.

فراسم الإيقونة الشّرقية يحترم سرّ القيامة الذي يُعجز الوصف ويعترف باستحالة تمثيلها بالألوان. والحقيقة أن التقليد الشّرقى لا يهتمّ بالجانب الماديّ للقيامة، يقينًا منه أنّ من يقتصر على الحدث التاريخيّ البحت للقيامة لا يمكنه أن يدرك مدلولها الحقيقي ولا أهميّتها بالنسبة إلى البشريّة جمعاء. ذلك أنّ المعنى الحقيقيّ للقيامة، في نظر المؤمنين، من شريقيّين أرثوذكس وغربيّين كاثوليك، يكمن في "الفصح" أي العبور من الموت إلى الحياة. هذا ما يعنيه القديس يوحنا الذهبيّ الفم في عظته عن القيامة:

"أين شوكتك أيها الموت؟ أين غلبتك أيّها الجحيم؟ قام المسيح وأنت فُهرت. قام المسيح والشياطين انهزمت. قام المسيح والملائكة جَذِلت. قام المسيح والحياة انبعثت. قام المسيح والقبور فُرُغت. لأنّ المسيح، إذ قام من الموت قد غلب الموت وصار أوّل التّاهضين من بين الرّاقدين."

وعلى التّقيض من كل ما نعلمه أو نراه أو نستشقه بشأن الموت، فإنّ قيامة المسيح تعلّمنا أن الموت زال فصرنا "أبناء القيامة" كما كان يقول المسيحيّون الأوائل في الشّرق الأوسط. حتّى القابعون في القبور تحرّروا من عبوديّة الموت وُرُعت في أجسادهم بذور الحياة الجديدة. إنّ "فصح" المسيح أي عبوره

من الموت إلى الحياة قد حوّلنا القدرة على هذا العبور، نحن الذين اختارهم لنكون شعبه وجماعته وميراثه. يتّضح من ذلك أن القيامة لا يمكن اعتبارها حدثًا منعزلًا، بل واقعًا يمسنّا في الصّميم، لأنّها تحوّلنا من خلائق مائتة إلى كائنات خالدة. ذلك أنّ المسيح بقيامته صار مبدأ تغلبنا على الانحلال وتألّفنا.

المروعة من الجحيم

إدًا

إيقونة القيامة لا تمثّل اللحظة التي قام فيها السيد المسيح، بل نزوله إلى مثنوى الأموات

إيقونة القيامة لا تمثّل اللحظة التي قام فيها السيد المسيح، بل نزوله إلى مثنوى الأموات (الجحيم) في أعماق، الأرض كما تشير إلى ذلك الهاوية السوداء في مقدّمة الإيقونة. غير أن الربّ التّاهض يهيمن على الجحيم وعلى سائر من في الإيقونة من أشخاص. نور الظّفّر يشعّ من شخصه النابض بالحياة وهو في وضع يُوحى بالحركة. أمّا ثيابه فناصعة البياض مع خلفيّة باللون الأزرق الخفيف تزيّن بها النّجوم. مجرّد حضوره يبذد ظلام الجحيم. وتحتة تظهر القيود والأغلال ومفاتيح أبواب الجحيم المخطّمة، دلالة على انه قهر سلطان الموت وأن الموت، منذ هذه اللحظة، لم يعد له أي سيطرة على البشريّة.

ولكن، مع انتصار المخلّص المجيد على الموت، فلا تزال معالم الآلام ظاهرة بوضوح على يديه ورجليه. وهذا يرمز إلى أن المسيح لم ينتصر على الموت إلّا عن طريق الألم والعذاب والتّضحية بذاته طوعًا. أمّا المدلول الرئيسيّ للإيقونة فهو أنّ السيّد المسيح يحنو على آدم وحوّاء، آخذًا

بيد كل منهما لينقذهما من العبوديّة والموت. ويبدو الأبوان الأوّلان بلا حياة ولا حراك خلافًا للحويّة المنبعثة من شخص المسيح الذي هو عين الحياة. فهو يضمّهما إليه، لينعما بحياة جديدة متألّفة في نور الخلود.

وكما أن السيّد المسيح أنفض آدم وحوّاء، باكورة الجنس البشريّ، كذلك نحن أيضًا، أحفادهما، سنختبر حبّ المسيح اللامتناهي ونحتفل معهما بتخطيم أغلال الجحيم لنبدأ حياة جديدة لا تعرف الرّوال. وفي هذا الصّدّد يقول اللاهوتيّ العظيم يوحنا الدّمشقيّ: "بعدما حرّر المسيح، قاهر الموت، جميع المقيدين بالأغلال منذ القدم، فتح لنا جميعًا طريق القيامة."

في هذا المشهد الرّائع لقيامة المسيح تظهر البشريّة كلّها ممثّلة بشخصيّ آدم وحوّاء، مع أبرار العهد القديم الذين كانوا يتطلّعون إلى هذا اليوم المجيد. ومّا يلفت الانتباه بنوع خاص، إلى الجهة اليسرى من الإيقونة، كلّ من الملك داود بتاحه الذهبيّ، ويوحنا المعمدان السّابق مشيرًا بيده إلى من هو التّور والخلاص للبشريّة جمعاء.

يتبيّن من ذلك أنّ الإيقونة البيزنطيّة الشّرقية للقيامة لا تتوقّف عند الحدث التاريخيّ، بل تتخطّاه لتركّز على عنايتها على المدلول اللاهوتيّ العميق لقيامة المسيح. فالفصح هو حقًا عبور، لأنّ المسيح، بآلامه وقيامته، قد حرّنا من لعنة آدم وعبوديّة الشيطان، وعبر بنا إلى وضع جديد، جاعلا إيتانا شعب الله.

"اليوم يوم القيامة فلنتبأ أيّها الشّعوب. فالفصح فصح الرب، لأنّ المسيح قد نقلنا من الموت إلى الحياة ومن الأرض إلى السّماء، نحن المرتمين بنشيد انتصار." (التسبحة الأولى من قانون عيد الفصح). وفيما نتأمّل في هذا السرّ العظيم، سرّ الأسرار وعيد الأعياد، فإننا

إيقونة القيامة: زوال الموت



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق الطبع محفوظة لكتابة الأيقونات
دير القديسة إيليزابات - دوقة روسيا الكبرى
<http://www.conventofsaintelizabeth.org/>

نمجد جميعنا المسيح الناهض من القبر في اليوم الثالث مرتين :
"المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت. ووهب
الحياة للذين في القبور." (نشيد عيد القيامة)

اليومَ الجحيمُ تنهدت صارخة: لقد كان
خيرًا لي أن لا أقبل المولود من مريم. لأنه
أقبل إليّ فلاشى سلطاني، وسحق أبوابي
النحاسية . وأقام النفوس التي كنت قد
أستوليتُ عليها قبلاً. بما أنه الإله. فالمجدُ
لصليبك يا رب. ولقيامتك.

اليومَ الجحيمُ تنهدت صارخة: لقد تلاشى
سلطاني. لأنني تقبلتُ ميتًا كأحد الأموات.
فلم استطع قط أن أضيظهُ. بل فقدتُ معه
الذين كانوا تحت سلطتي. أنا كنتُ مسئوليةً
على الأموات منذ الدهر. إلا أن هذا قد
أنهض الجميع. فالمجدُ لصليبك يا رب.
ولقيامتك.

اليومَ الجحيمُ تنهدت صارخة: لقد سقطت
عزتي. لأن الراعي صلب وأنهض آدم.
والذين كنتُ مالكةً عليهم قد فقدتهم.
والذين ابتلعنهم باقتداري قدفنتهم جميعًا.
لأن المصلوب أفرغ القبور. وأقتدار
الموت اضمحل. فالمجدُ لصليبك يا رب.
ولقيامتك.